الباب الخامس

نهاية الأزمة

obeikandl.com

obeikandl.com

الدعم العربي والدولي ضرورة:

إن زوال نظام بشار الأسد لن يكون المرحلة الأخيرة، لكنه سيكون بداية لمرحلة ثانية، تَرسم فيها القوى السياسية الصاعدة ملامحَ المستقبل، وتحافظ في الوقت نفسه على قوَّة ووَحدة الدولة الجديدة، دون اتِّباعها لسياسة تصفية أنصار النظام القديم، وهذا يتطلَّب أن يراقب المجتمع الدولي -وليس الولايات المتحدة وحدها كما حدَث في العراق أو أفغانستان تصرُّفاتِ النظام الجديد،وأن يَضمن تمتُّع كل الطوائف والمذاهب بحقوق ومسؤوليات متساوية، مع دعمٍ اقتصادي وعسكري للنظام الجديد؛ حتى تعود الدولة السورية إلى ما كانت عليه قبل بداية الاحتجاجات.

وسوريا لم تصل بعدُ لمرحلة تهديد المصالح الأمريكية؛ لذا تُحاول واشنطن أن تبقى على اتصال بالمعارضة، عن طريق تقديم دعمٍ عسكري يسيرٍ لها، لكن مع استمرار الحرب الأهلية الطائفية في سوريا، وانتقال عدوى تلك الحرب إلى الدول المجاورة، واستغلال إيران لظروف سوريا في تهديد المصالح الأمريكية والصِّهْيَونية، في هذه الحالة ستُجبَر الولايات المتحدة على التدخُّل في سوريا.

وتدخُّل كافة الأطراف الدولية والإقليمية والعربية ضرورة لحلِّ الأزمة السورية، بدلاً من طرْح مبادرات غير نافعة؛ إذ أثبت التدخل الأمريكي المنفرد فشَلَه في إدارة المرحلة الانتقالية، وأدَّى إلى حدوث مشكلات ومعوقات للتقدُّم الديمقراطي، وعدم حدوث تقدُّم يُذكر في الشؤون الأمنية والاقتصادية، بل أدَّى إلى تحوُّل كلٍّ من أفغانستان والعراق إلى بُؤَرٍ للصراعات والنزاعات الطائفية والمذهبيَّة.

والمؤكد أن سوريا بحاجة إلى دعمٍ دولي وعربي؛ سواء في المرحلة الحاليَّة، أو المستقبلية، فلا بد من تكثيف الضغوط على النظام السوري من أجْل وقف حمامات الدم وتخلِّيه عن السلطة، مع استمرار هذا الدعم للنظام الجديد، حتى تستقر الأمور؛ لأن الواقع على الأرض في الوقت الحالي يَجزم باستمرار الحرب الأهلية في البلاد، حتى بعد رحيل الأسد، ودخول سوريا في نفَقِ الأطماع الدولية والإقليمية؛ مما سيؤثِّر على مستقبل المنطقة بأسْرها.

ضرورة تسليح المعارضة:

هناك بعض المعضلات التي تعترض طريق وزير الخارجية الجديد، والتي تتمثل في عدم قدرته على إقناع روسيا بالعدول عن موقفها الداعم لنظام الأسد، وكذلك إقناع تركيا بأن واشنطن تريد تغيير نهجها للتوصل

إلى حل للصراع السوري الدائر منذ أكثر من عامين، ومع ذلك فإن الشركاءَ الأوروبيين يبدو أنهم ما زالوا متشككين في الموقف الأمريكي؛ حيث أعلنوا مؤخرًا رفضهم رفع الحظر المفروض على إمداد الجيش السوري الحر بالأسلحة،وهي الخطوة التي من شأنها إطالةُ أمد الصراع.

رئيس هيئة الأركان المشتركة للجيش السوري الحر سليم إدريس استنكر الموقف الأوروبي، مؤكدًا على حاجة الجيش الحر إلى أسلحة دفاعية وصواريخ مضادة للطائرات والدروع، مشددًا على أن هذه الأسلحة ستكون في أيدٍ أمينة على حد قوله.

وتثبت الاتجاهات الحالية للصراع في سوريا أن الولايات المتحدة مضطرة إلى العمل إلى نهاية المطاف بكل الوسائل؛ لإنهاء حكم بشار الأسد، خاصة أن قوات الأسد ما زالت على الأرض، وأن خطر استخدامه للأسلحة الكيماوية مازال يلوح في الأفق، وأن انهيار نظام الأسد ووصول هذه الأسلحة إلى يد بعض التنظيمات المتطرِّفة، يشكل خطرًا على النفوذ والمصالح الأمريكية في المنطقة.

وأفضل طريقة للخروج من المأزِق الحالي، هو أن تتولى الولايات المتحدة وبعض شركائها الأوروبيين والعرب القيامَ بمهمة تدريب قوات المعارضة وإمدادهم بأسلحة الدفاع الجوي، لكن التردد الأمريكي

والأوروبي في القيام بهذه المهمة يجعل من نجاح المعارضة في الإطاحة بالنظام السوري ضربًا من الخيال.

هذه ظروف تختلف تماماً عن ظروف لحظة تأسيس الجمهورية وواقع الحال اليوم ورغم أن هذه العملية التي ترمي إلى التغيير وتحريك المياه الراكدة في المجتمع الإيراني، تُقابل بمقاومة شديدة من القوى المضادة والمحافظة، إلا أن هذا الصراع سوف يتصاعد في المستقبل، ما لم يتغير البناء المؤسسي والدستوري في إيران، واتخاذ الوسائل الملائمة للتعامل معها، حتى يستطيع النظام الاستمرار والتكيف مع هذه التحديات دون ذلك سوف يواجه النظام الإيراني مأزقاً وجودياً.

إن التغيرات البنيوية، التي تواجه النظام السياسي الإيراني، فرضت على الأخير مواجهة مشكلات جديدة وغير مسبوقة، تختلف كلياً عن مرحلة تأسيس الجمهورية، فهي تتطلب أطر ومؤسسات متطورة ومختلفة قادرة على التعامل مع التحديات الموضوعية والمستجدات التي أفرزتها، حتى تكون الدولة تمثيلاً أميناً لموازين القوى في المجتمع وبقدر ما تثبت إيران قدرتها على مجابهة هذه التحديات، وكلما كانت السلطة في إيران قادرة على التعبير عن حركية المجتمع الإيراني، كانت سلطة شرعية .

حتمية سقوط النظام ونجاح الثورة

تأخُّر ردِّ الفعل الدوليِّ للتدخُّل في ليبيا، لا شيء قياساً على الوضع في سوريا، فقد توافرَتْ للمجتمع الدوليِّ جميعُ أسباب التدخُّل في سوريا، ولكن لم يحرِّك أحدٌ ساكنًا، ولعل السبب الهامّ المشترك بين جميع الثورات العربيَّة، هو أنَّها لا يُعرف ما سوف تتمخَّض عنه بعد نَجاحها، ومن الذي سوف يأتي للحكم، وهل سيكون امتدادًا للتبَعِيَّة الغربية، مُحافظاً على مصالحها في المنطقة، أو أنَّ الظاهر سوف يسود، ويصبح النِّظام الجديد إسلاميَّ الثياب،كما يُلحظ من الصِّراع الدائر بين الإسلاميِّين من ناحية، وبين العلمانيين والليبراليِّين وغيرهم من ناحيةٍ أخرى، وهو الوضع في مصر وتونس0

على الغرب أن ينتظر قبل أن يُلقِي بدولةٍ أخرى في هذا المَجال، وهو لا يَعْلَم العاقبة، أو يتدخَّل لتسيير الأمور بعكس اتِّجاه الثورة؛ إمَّا بالسيطرة عليها، أو بتحييدها وتَهْدئتها عن طريق الضغط على النِّظام، وإجراء إصلاحات قويَّة فعَّالة تُرْضي الثَّورة، أو بإحداث تَغْييرات في النِّظام يسترضي بها الثُّوار، أو بالقضاء على الثورة بأيِّ طريقة، ولو كانت على أَشْلاء جثث الأطفال والنِّساء والرجال.

تجاوز النظام السوريُّ جميع الحدود، وارتكب أبشع الجرائم والمَجازر في حقِّ شعبه، وما فعله القذافي في ليبيا لا يقارن بما فعله أسد سوريا تجاه الشعب، وهذا الوضع يُؤْذِن بالوصول إلى نقطة اللاَّعودة، كما أشار أحد الخبراء الرُّوس، فهذه الجرائم والمَجازر والفظائع المرتكَبة لن تولِّد سوى موجاتٍ تصاعديَّة من الاحتجاجات والثورة، وستقود حتمتً إمَّا إلى سقوط نظام الأسد،وإما إلى زيادة مُمارسة التنكيل الجماعيِّ ضد السكان، بما يعني إرغامَ الغرب والمجتمع الدوليِّ على إزالة هذا النظام؛ حسب السيناريو الليبِي ولكن تَكْمن المشكلة في الوضع الإقليميِّ المعقَّد لسوريا، حتى كتب كريس دويل في صحيفة ذي جارديان البريطانيَّة: إنَّ الغرب لا يعرف ماذا يفعل، ولا كيف يتدخَّل، ولا مع من يتَّصِل؟ وفوق كلِّ ذلك لم يَدْعُه أحدٌ بعدُ للتدخل فالنِّظام السوريُّ قد استغلَّ موقعه الإستراتيجيَّ الهام، ليس فقط بالنسبة للغرب وإسرائيل، بل بالنسبة للعالَم، ولا سيَّما العالم الإسلامي، فسوريا هي سوريا الشام، حيث يقع جزءٌ كبير منها في المنطقة التي تعرف في عقيدة المسلمين، وفي تاريخهم باسم الشَّام، وفضائلها أكثر وأشهر من أن نُذَكِّر بها، وأهَمُّها كونها المكان الذي يَحْتضن الطائفة المنصورة التي تُجاهد إلى قيام الساعة.

أولاً: هناك العلاقة الإستراتيجيَّة القوية مع إيران، وهي علاقة مصيريَّة في المشروع الصَّفوي الإيراني، ومن ثمَّ كان التواجد الإيراني المفضوح في سوريا، مشاركةً في عمليات القمع والإبادة، وتأييد إيران لسوريا مطلق، وحزب الله ذراع إيران في لبنان، يمثِّل ما يشبَّه الحكومة الواحدة مع سوريا، ولدى إيران الآن دافعٌ أقوى من ذي قبل لاتِّخاذ موقف أشدَّ قوة في مُناصرة سوريا، بعد الصدمة القوية التي تلقَّوهَا من المارد السُّني، تحديدًا في البحرين، كما وصفه موقع المسلم بأنَّه أول مسمار في نَعْش المشروع الصَّفوي.

وثانيًا: العلاقة الإستراتيجيَّة مع تركيا؛ لأنَّ سوريا بالنسبة لتركيا تمثِّل عمقًا إستراتيجيًّا لا يُستهان به، ناهيك عن المصالح الاقتصاديَّة والثقافية والدبلوماسية والأمنية الكثيرة المشتركة، وقد قامت تركيا بِمُحاولات كثيرة، وقدَّمَت مبادرات تِلْو المبادرات لحلِّ الأزمة، ولكن التَّصاعد الدموي ضدَّ الثورة جعلها تنتقل إلى التحذيرات، فالتهديدات بالتدخُّل العسكري، وموقفها الآن أقوى، لا سيَّما بعد نجاح حزب العدالة في الانتخابات، وتركيا ليس لديها المشكلة الغربيَّة مع النِّظام الجديد، والتخوُّف منه، اعتمادًا على أن سوريا أغلبيَّة سُنِّية، تقرب من الـ 90%! ولو فُرِض حدوث تدخُّل أجنبي في سوريا فإنه مرشَّح أن يكون من جانب تركيا.

وثالثًا: علاقة الأرجوحة مع إسرائيل، فعلاقة العداء الظاهرة بينهما، ما هي إلاَّ توازنات ومصالح، وأوراق ضغط من قِبَل النظام السُّوري، فليس له في حدِّ ذاته مشكلةٌ مع إسرائيل، ما دام باقياً في سُلْطته، وإلاَّ فالنظام منذ حرب 1973م لم يتوجَّه بطلقة تجاه إسرائيل، ولم يَقُم بحركةٍ من أجل تحرير الجولان، ولم تحدث عمليَّة جهاد ضد الاحتلال الصِّهيوني، مع أن النظام يسمِّي نفسه نظام النِّضال ومشاركته في عرقلة الانتفاضة والمقاومة معروفةٌ0

لكن إسرائيل لها مشكلة مع سوريا؛ نتيجةَ علاقتها مع إيران من جهةٍ، وعلاقتها كذلك مع حزب الله في لبنان، واحتضانها لحماس قبل المُصالحة والمقاومة الفلسطينيَّة من جهة ثانيةٍ، بما يعني أنَّ حدوث تدخُّل أجنبي في سوريا، يُنْذِر بفوضى عارمة في المنطقة، تضرُّ حتمًا بأمن إسرائيل، فالنِّظام السوريُّ على أي حالٍ يمثِّل صمام أمنٍ لإسرائيل في المنطقة، حتَّى إن الصحف الصِّهيونية خرجَتْ تقول: إنَّ تل أبيب تصلِّي للرب أن يَحْفظ بشار الأسد، وتل أبيب ستَشْتاق إلى الديكتاتور السوريِّ في حال رحيله ولن تَسْتطيع إسرائيل فقدان جبهةٍ جديدة أمنية، لا سيَّما بعد ما حدث في مصر.

لذا تأمل إسرائيل تحقيق المعادلة الصعبة الإبقاء على النِّظام السوري، مع فكِّ الارتباط بين سوريا والجهات التي تتقوَّى بها، لا سيَّما إيران

وحزب الله؛ من أجل أن تنفرد بقيادتها للسيطرة عليها، وهي معادلة صعبة المنال، تُشْبِه الحلم.

ورابعًا: علاقة سوريا بدولٍ كبرى، مثل روسيا والصين، اللَّتان تَقِفان حجر عثرةٍ أمام التدخُّل الدولي في سوريا، وتُهدِّدان بالفيتو ضد أيِّ قرار يدينها،أو يُؤْذِن بتدخُّل،بسبب العلاقات الاقتصاديَّة والعسكرية الوثيقة بينهما وبين سوريا، لا سيما مع روسيا.

خامساً: ما تمخَّض عنه التدخُّل الدولي في ليبيا، الذي لم يُسْفِر عن إسقاط النظام الليبِي أو قتله، أو حتى تقديم دعم حقيقيٍّ للثُّوار، وكل ذلك يَقدِرُ عليه المجتمعُ الدولي، لكنَّها المصالح والأطماع التي بدَت الآن واضحةً للعيان0

وهو ما دفَع دُولاً، مثل: البرازيل وجنوب أفريقيا إلى إبداء معارضة لتدخُّل مُشابِهٍ في سوريا، مع إبداء معارضة لأيِّ قرار يصدر من الأمم المتحدة لإدانة سوريا،برغم وضوح جرائم النظام السوريِّ وفظائعه، وما يصنعه بشعبه حتى قبل الأحداث، والذي حدا بمجلة نيوزويك الأمريكيَّة أن تصف سوريا بأنَّها جمهورية الخوف، حيث يعيش السُّوريون منذ عقود طويلة في ظلِّ قانون الطوارئ والمراقبة المستمرَّة.

سادسًا: كلٌّ مِن الداخل السُّوري، والعالَم العربي والإسلامي، يرفضان التدخُّل الأجنبيَّ، مع كون البعض ربما يحبِّذ تدخُّلَ تركيا دون المجتمع الدَّولي؛ ثقةً في عدم وجود أطماع تركيَّة في سوريا بِمِثل الأطماع الغربية، مع توجُّهات حزب العدالة التركي الإسلامية أما العالم العربيُّ والإسلامي، فلن نتعرَّض للحديث عنه؛ لأنه ليس هناك ما يمكن الحديث عنه سوى الشَّجب والاستنكار، والتصريحات التي لا يُراد بها سوى حفظ ماء الوجه أمَّا الداخل السُّوري فهم على تخوُّف من التدخل ألا يُؤْتِي ثماره كالمعتاد؛ لأنَّه لا يخدم إلاَّ مصالح الغرب وإسرائيل، الأهم من ذلك أن السُّوريِّين قطعوا شوطًا طويلاً عظيماً ضدَّ هذا النظام الغاشم، ووصلوا إلى مرحلة اللاَّعودة، فقد انتفضَتْ جمهورية الخوف، وطالبت بتغيير النِّظام، وواجهت آلات القمع والوحشيَّة، والدبابات والطائرات، واستمرَّت على الصمود وخِذْلان النظام، حتى افتضح أمره في الأوساط والمحافل الدولية، واكتسبت الثورة مكاسب عدة، ليس أهمها التأييد الدولي أو العربي أو الإسلامي، ولكن استيقاظ هذا الشَّعب، وانتفاضته ضد الظُّلم والطغيان؛ كي يكون عبرةً لِمَن يأتي بعده، وهكذا سيراً على خطِّ الانتفاضات الإسلاميَّة في عالَمِنا الجديد، التي ستضع محدّداته في الزمن القريب والأمر كما ذكرَتْ د. ليلى بيومي في مقالها نجاح الثورة بأيدي السوريِّين أنفسهم: وفي النِّهاية فإن نجاح الثورة السوريَّة مرهون بقوة

إرادة السوريِّين أنفسهم، وطول نفَسِهم وصبرهم، وباشتراك القطاعات التي لم تشتركْ في الثورة حتَّى الآن؛ فالمعارضة السُّورية ما زالت لم تنخرطْ بالشَّكل المطلوب في الثورة، والتنسيق بينها غير موجود، وما زالت قطاعات من المثقَّفين والنخبة خائفة ومرتعشة، ولن تنجح الثورة إلاَّ إذا وصلت إلى الكتلة الحَرِجة، وهي اشتراك نسبةٍ لا تقلُّ عن 20% من السُّوريين بشكلٍ كامل في الثورة، وهو الدَّرس المستخلَص من الثورة المصريَّة وتحقيق هذا النَّجاح في أيدي السُّوريين هو النِّهاية المُثْلى لهذه المعضلة، وهي رغبة تُواجه عقبات حقيقيَّة فعلية وقوية، رغبة تصطدم بالمصالح الغربية وأذنابهم كافَّة، في عالَمِنا المحيط، وخلاصة القول هي رغبة الشُّرفاء، لا سيَّما من المسلمين.

كيف نتجنب سقوط سوريا؟

نشَر معهد بروكنجز الأمريكي للأبحاث دراسة بعنوان أو سقوط سوريا كيف يمكن تجنُّبه،تلقي الضوء على واقع الصراع العسكري القائم بين الجيش النظامي التابع لبشار والجيش السوري الحر، والأخطار التي تهدِّد الدولة السورية في المستقبل وتُشير إلى أن قوات الأسد ترتكِب مذابح جماعيَّة ضد المواطنين المدنيِّين، في الوقت الذي تُعاني المعارضة من نقْص الموارد وغياب التنسيق فيما بينها، علاوة على غياب الاتفاق على شكل الدولة السورية بعد سقوط بشار، مؤكدةً أن الحرب الأهلية

الدائرة حاليًّا قد تتحوَّل إلى صراع طائفي وديني بين الفصائل السورية بعد انهيار النظام، مضيفةً أن قادة المعارَضة لا يتمتَّعون بخلفيات سياسية تؤهِّلهم لمَلء الفراغ بعد سقوط النظام، وإدارة المرحلة الانتقالية والوضع الإنساني في سوريا حسَب تقارير المنظمات الدولية يُنذِر بعواقب وخيمة، خاصة في ظل ارتفاع أعداد اللاجئين والمهاجرين في الأردن ولبنان وتركيا، والمقدَّر بحوالي 300 ألف لاجئ، علاوة على الأوضاع المأساوية في حلب ودمشق، مع توقُّعات بوصول هذا العدد إلى 700 ألف لاجئ خلال الشهور المقبِلة ولا شكَّ أن الأزمة السورية تلقي بظِلالها على الأوضاع في العراق وتركيا، مع إمكانية انفِجار صراع طائفي، خاصة بين السنة والشيعة في العراق ولبنان، خاصة مع التحاق عناصر من شيعة العراق للقتال مع قوات الأسد، كما أن حزب العمال الكردستاني يستخدم الأراضي السورية عناصر من الحزب تُقاتِل مع الأسد لشنِّ هجمات على الحدود التركية، خاصة منطقة اللاجئين السوريين؛ مما قد يؤدي إلى حدوث مواجهات بين سوريا ودول الجوار.

وقد يؤدي هذا الوضع المتشابك والمعقَّد إلى تدخُّل الجيش التركي في الأزمة السورية، وهو ما قد يشكِّل غطاءً لتدخل دولي، خاصة أن مصادر في حلف شمال الأطلنطي أشارت إلى وجود اتِّفاق داخل الحلف لإقامة منطقة حظر طيران ومناطق آمنة في سوريا.

ومن ثَم فإن الوضع في سوريا يؤثِّر بصورة كبيرة على الأوضاع الجيوستراتيجية في المنطقة، التي قد تتحوَّل بين عشيَّة وضحاها إلى فوضى عارمة، حال سقوط الأسد، وهو الوضع الذي ستحاول إيران الاستفادة منه عبر خلاياها الموجودة في سوريا للحفاظ على مصالحها ونفوذها في سوريا الجديدة ولا شكَّ أن الأزمة السورية تمثِّل معضِلة كبيرة لصنَّاع القرار في أوروبا وأمريكا؛ فالرئيس أوباما وشركاؤه الأوربيون لم يُقدِّموا جهوداً ملموسة لوضع حد لحالة الاقتتال الداخلي مع فشَل المساعي الدبلوماسية وسط التعنُّت الروسي والصيني مكتفين بالتأكيد على أن استِخدام الأسد للأسلحة الكيماوية خط أحمر.

وتبقى المساعدات التي تقدِّمها قطر وتركيا للمعارضة السورية محدودة التأثير، بالنظر إلى حالة الانشقاق التي تضرِب صفوفها، فهناك الجيش السوري الحر وعدد من التنظيمات المسلَّحة الأخرى؛ مثل أحرار الشام في حلب، وجبهة التحرير السوري، ومجلس أمناء الثورة، وغيرها، وهو ما يعكِس حالة الاختلاف الأيديولوجي بين هذه التنظيمات التي فشلت محاولات عدة في التوفيق فيما بينها، والانضواء تحت لواء واحد، حيث ينذِر هذا الوضع بعواقب كارثية في حال سقوط النظام، ورغبة كافة هذه التنظيمات في لعب دور في العملية السياسية في الفترة الانتقالية.

وبدلاً من العمل على تحقيق هدفهم الأساسي في القضاء على نظام بشار، دخلت المعارضة السورية في معارك داخلية فيما بينها، خاصة بعد إعلان تشكيل مجلس أمناء الثورة السورية الذي اعتبَره العقيد رياض الأسعد قائد الجيش السوري الحر بمثابة محاولة لتحقيق مكاسب سياسية وتقسيم المعارضة والاستفادة من الثورة.

محاور الخروج من الأزمة:

تؤكِّد مؤشرات على الأرض على بداية الانهيار الفعلي لنظام الأسد وفقْده السيطرة على معظم الأراضي السورية، لكن المعارضة ما زالت بحاجة إلى توحيد صفوفها وتسليح عناصرها؛ حتى تحتفِظ بمكاسبها ولا تتعرَّض لانتِكاسة،ربما تضيع ما أنجزته من نجاح خلال الفترة الماضية وعلاوة على ضَعْف إمكانيات المعارضة السورية، فهناك خلاف حادٌّ يعتري موقف القوى الدولية من الثورة السورية، فروسيا تمنح الأسد غطاءً دوليًّا وتعزِّز قواته بقدرات عسكرية وتِقنية هائلة، والولايات المتحدة ما زالت متردِّدة بصورة كبيرة في تقديم الدعم الفعلي للمعارَضة، لتعكس هذه المعطيات إمكانية بقاء الوضع المزري في سوريا لفترة طويلة وتؤكِّد الدراسة على ضرورة أن تقوم الولايات المتحدة والدول الأوروبية ودول الجوار بدور رئيس على عدة محاور، أبرزها:

1- توحيد الشعب السوري حول مشروع وطني لإعادة بناء البلاد: وأن تُقدِّم الأطراف الدولية والإقليمية كلَّ الدعم للمعارضة السورية، دعم فني وعسكري ولوجستي غير محدود حتى تستطيع هزيمة النظام السوري، وبناء الدولة الجديدة، مع تكريس قواعد الديمقراطية والحكم الرشيد.

2- العمل على دمْج العناصر المنشقة من الجيش النظامي والشرطة في منظومة متكاملة لحماية الثورة السورية من انشقاقات المستقبل.

3- تشكيل لجان دولية معترَف بها من أجل التوصل إلى حل دائم لمشكلة أكراد سوريا، بما يحافظ على وحدة الدولة السورية، وعدم تحول البلاد إلى مستنقع من الحرب الطائفية بعد سقوط النظام، وتنسيق الجهود بين كافة الفصائل السورية للاتِّفاق على شكل الحكم الديمقراطي وخارطة طريق المرحلة الانتقالية.

وضرورى ان تتِّخذ القوى الدولية والإقليمية قرارات صعبة في تلك الفترة العصيبة،تتعلَّق بالعمل الجاد وبكل الوسائل الممكِنة لتسريع سقوط النظام السوري،والعمل مع فصائل المعارضة على إدارة المرحلة الانتقالية بشكل يحافظ على وحدة الأراضي السورية، وبناء سوريا الجديدة مع المحافظة على الحقوق والحريات لكافة الطوائف.

إن سقوط النظام السوري سيكون أول اختبار حقيقي للقوى الداخلية والخارجية، لا سيَّما أن زوال نظام الأسد وما يَستتبِعه من سقوط لقوات الجيش النظامي والشرطة، تستوجِب على جميع الأطراف الدولية أن تدعَم المعارضة السورية لبسْط نفوذها على كافة الأراضي السورية؛ حتى لا تتحوَّل البلاد إلى ما يُشبِه وضْع العراق عام 2003م بعد سقوط نظام صدام حسين.

متى وكيف تنتهي الحرب في سوريا؟

نشر معهد بروكنجز للدراسات والأبحاث، القريب من دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة، مؤخرًا - دراسة بعنوان: أو متى وكيف تنتهي الحرب في سوريا؟؛ من تأليف كينث بولاك.

تقول الدراسة إن التسمية الصحيحة لما يحدث في سوريا هي حرب أهلية تدور رحاها بين الجيش الوطني الحر وجماعات المعارضة، وقوات بشار الأسد، مشيراً إلى أن سوريا في تلك اللحظة تختلف كثيراً عن مصر وتونس،وتتشابه في مآلاتها مع ما حدَث في أفغانستان والبلقان والكونغو، لكن السؤال الأهم هو: كيف يمكن وقف نزيف الدم الذي تشهده سوريا، والذي يروح ضحيَّته يوميًّا مئات القتلى من المدنيين؟ سِمة الحروب الأهلية أن خسارة أي طرفٍ لا يعني أن الأمور

تعود إلى الاستقرار، بل تظلُّ الحرب دائرة مع مؤيدي وأنصار الطرف الخاسر؛ مما يتطلَّب تدخُّل طرفٍ ثالث يُنهي الصراع بين الطرفين، ويتولَّى إدارة مرحلة انتقالية تضع أولويَّات التحول الديمقراطي وإعادة بناء مؤسسات الدولة من جديد، وهذا الخيار يحمل تكلفة سياسية هو الآخر،لاسيما أن تدخُّل طرف خارجي في صراعات داخلية، غالباً ما يؤدي إلى نتائجَ غير مرغوبة.

الحل الأفضل للحالة السورية هو المفاوضات بين الثوَّار والنظام في سوريا، والتي تَضمن تنحِّي القيادة السورية عن السلطة، وتشكيل مجلس يمثِّل كافة طوائف الشعب السوري؛لوضْع خارطة طريق لسوريا الجديدة، وهذا الخيار تبنَّاه المجتمع الدولي؛ عن طريق تعيين كوفي عنان مبعوثاً للأمم المتحدة في سوريا، لكن مهمته تعرَّضت للفشل، خاصة مع إخفاق مجلس الأمن الدولي -طبقًا لتوازُنات ومصالح أعضائه في الاتفاق على مجموعة من الإجراءات من شأنها تكثيفُ الضغوط على النظام السوري.

وتُشير الدراسة إلى أن الموقف الأمريكي ملتبس في الحالة السورية، رغم تأكُّده من الدعم الروسي الواضح لنظام بشار، وعدم قَبول أطراف عديدة سواء في الداخل أو الخارج فكرة تطبيق النموذج اليمني في البلاد، لاسيما أن نظام الأسد لا يَطرح بجديَّة مسألة الانتقال السلمي للسلطة عن طريق تنحِّي بشار؛ لأنه يُدرك أن مصيره لن يختلف عن

مصير مجرم الحرب رادوفان كارادزيتش والأخطر في المسألة السورية أن تنحِّي أو هروب الأسد خارج البلاد، لا يعني انتهاء الحرب أو دخول سوريا إلى مرحلة انتقالية يُعاد فيها ترتيب البيت السوري من الداخل، أو حتى دخولها مرحلة الاستقرار الشكلي؛ إذ إن الطائفة العلَوية ستحاول بكل الوسائل أن يستمرَّ الصراع، ليس من أجل نظام الأسد؛ لكن من أجل الحفاظ على ما تتمتَّع به من مميزات داخل المجتمع، وبالتالي فمن المحتمل أن تقوم بتعيين خليفة لبشار يواصل الحرب ضد الثوَّار.

وكان الرئيس الأمريكي أوباما أكَّد منذ البداية على ضرورة تنحي بشار الأسد، كما أشارت العديد من التقارير الإعلامية إلى تقديم واشنطن دعمًا سريًّا للمعارضة السورية، لكن هذا الدعم لم يَضمن لها التفوق على القوات السورية التي تحوَّلت منذ بداية الصراع إلى ميليشيات مسلحة تابعة للطائفة العلَوية والموقف الأمريكي الرافض للتدخل العسكري على غرار ما حدَث في ليبيا، ينطلق من عدد من الاعتبارات، أوَّلها عدم تهديد سوريا للمصالح الأمريكية الحيوية في منطقة الشرق الأوسط، خاصة المرتبطة بالنفط، فسوريا ليس لديها مخزون هائل من البترول، كما أنها ليستْ شريكًا تجاريًّا لواشنطن، وهذا ما جعل واشنطن تغضُّ الطرف عن المذابح التي يرتكبها النظام السوري ضد شعبه، هذه المذابح التي لم تحرِّك مشاعر واشنطن ما دام الأمر لا يمسُّ مصالحَها

في المنطقة لكن ما زال النظام السوري يمتلك قدرات عسكرية استطاع بها وقْف زحْفِ الجيش السوري الحُر إلى دمشق، ونجح في تحقيق بعض التفوُّق الميداني على الأرض، في الوقت الذي لا يزيد فيه تسلُّح الثوار عن أسلحة خفيفة وقنابل يدوية الصُّنع.

هذا الفارق الشاسع بين قدرات الجانبين، إضافة إلى الدعم الإيراني والروسي لنظام الأسد يؤكِّد طول أمَد الحرب، ومزيدًا من الخراب والدمار في البلاد، وسقوط مزيد من القتلى؛ سواء في صفوف قوَّات النظام، أو المواطنين المدنيين، كما هو الحال في حلب وداريا وغيرهما وفي حالة سيطرة الثوار على معظم المدن السورية، فمن الممكن أن تَلجأ الطائفة العلَوية إلى الأماكن النائية والساحل الغربي؛ لتُمارس منها عمليَّاتها ضد النظام الجديد، وحينها قد تتحوَّل سوريا إلى أفغانستان جديدة.

إيران جزء من الحل

يؤكد خبير الشرق الأوسط ومدير معهد الدراسات السياسية والأمنية في برلين فولكر بيرتيس، أن إيران جزء من الأزمة في سوريا وأن لديها تأثير واضح على الحكومة في دمشق لذلك،كان من الضروري السماح لوفد إيراني بالمشاركة في مؤتمر السلام في سويسرا لأن طهران جزء من المشكلة ولابد أن تكون جزءاً من الحل أيضاً.

كما أبدت إيران رغبة في التوسط في الحرب الدائرة في سوريا والمشاركة في مؤتمر السلام وقال وزير الخارجية الإيراني محمد جواد إذا كان لدى كل الأطراف رغبة في التوصل إلى حل عملي للأزمة السورية فمن المفروض إشراك إيران في المؤتمر وطالبت الحكومة السورية بمشاركة وفد إيراني في مؤتمر السلام حول سوريا وحسب وكالة الأنباء السورية الرسمية سانا فإن وزير الخارجية السوري قال أنه ليس من المنطقي غياب إيران عن هذا المؤتمر.

السعودية والأمم المتحدة ومشاركة إيران:

تعتبر السعودية والولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول معارضة لمشاركة إيران في مؤتمر السلام حول سوريا فكما يؤكد الخبير السياسي بيرتيس السعودية عازمة على الإطاحة بنظام الأسد وتهدف السعودية على غرار إيران إلى الاستفادة من الحرب السورية من أجل تعزيز مكانتها في الشرق الأوسط لذلك يخوض البلدان حرباً بالوكالة في سوريا كما تؤيد الأمم المتحدة مشاركة إيران في مؤتمر السلام حول سوريا وهو ما أكده شخصياً أمينها العام بان كي مون بقوله إيران يمكنها أن تلعب دوراً مهماً بهذا الخصوص، فهي قوة إقليمية مهمة فمشاركتها منطقية وعملية وواقعية ويخلص الخبيران السياسيان ماير وبيرتس إلى أنه رغم الاختلافات بين إيران وغيرها من الدول، فإنها جميعها تشترك

في هدف واحد هو عدم السماح للمجموعات الإسلامية المتشددة في سوريا بتحقيق مزيد من المكاسب وانطلاقاً من ذلك فإن إيران والسعودية وأمريكا وروسيا وأوروبا تواجه عدواً مشتركاً، وهذا ما قد يزيد من حظوظ إيران في المشاركة في مؤتمر السلام المقبل حول سوريا.

إيران فى سوريا المستقبل:

على الرغم من وجود إيران في المعسكر السوري - الروسي، فإن طهران تريد أن تشكل لنفسها معادلة خاصة، تتفاعل في إطارها مع اللاعبين الرئيسيين في المسألة السورية، بما في ذلك روسيا فقبل اكتمال الربع الأول من العام الجاري 2016، انتهجت روسيا سلوكاً لا يرضي إيران كثيرا، من ذلك: التعاون مع الإسرائيليين والأكراد، والدعوة لتسمية حكومة جديدة وهنا، ظهر التناقض الإيراني - الروسي بشكل فج وصارخ، من خلال استهداف طهران الإبقاء على الرئيس السوري، بشار الأسد، إلي أجل غير مسمي على رأس السلطة، ومن ثم السعي نحو إلحاق هزيمة كاملة بالمعارضة السورية، وبكل من يحارب تحالفات بشار الأسد، وليس التوصل إلي حلول وسط وهنا، كان على إيران أن تعمل وفق خطة تمكنها أولاً من الحفاظ على ما تبقي من سيطرة بشار الأسد على الأراضي السورية، ثم البحث عن نافذة لها على المتوسط، وبالتالي يمكنها بعد ذلك تحرير الأراضي التي تم الاستحواذ عليها بواسطة الجيش

السوري الحر وتشكيلاته، وجيش الفتح، وجيش الإسلام، وتنظيم الدولة، وجبهة النصرة.

في سبتمبر 2015، قال الرئيس السوري بشار الأسد إنه سيعمل على الحفاظ على منطقة سوريا المفيدة ويبدو من هذا الاصطلاح القديم - الجديد الذي استخدمه بشار الأسد أنه مدفوع برغبة إيران في التشبث بما تبقي للقوات الموالية لبشار من أراض في غرب سوريا، مما يعني أن إيران رسمت لنفسها موقعاً مغايراً في مستقبل سوريا، سواء في المدي القريب، أو المتوسط، أو البعيد، وهو ما يمكن تمييزه فيما يأتي:

1- المدي القريب: الحفاظ على الأراضي السورية موحدة وغير مقسمة، ومواجهة أية دعوات من شأنها إعطاء حقوق أو وعود انفصالية، خاصة للأقلية الكردية التي تعمل مع القوات الروسية، ومن ثم إيجاد منفذ على البحر المتوسط يمكنها من الذهاب إلي إسرائيل بحراً.

2- المدي المتوسط: العمل من خلال سوريا المفيدة ككتلة جغرافية تفاوضية، يمكن من خلالها التوصل إلي الأفضليات الممكنة، خاصة تلك التي تتعلق بالفترة الانتقالية المفضية إلي رحيل بشار الأسد، خاصة أن روسيا ضغطت من أجل إشراك إيران في مفاوضات جنيف الخاصة بتسوية الأزمة السورية.

3- المدي البعيد: منع روسيا من التمدد والسيطرة على العراق، الذي تمتلك فيه إيران نفوذاً سياسياً منفرداً، إلي جانب كون العراق ثاني أكبر مستورد للبضائع الإيرانية، بعد الصين، فضلاً عن رأس مال النفط الناتج عن بيع 150 ألف برميل نفط يومياً، واعتماد طهران على بغداد كحائط صد أمام الإجماع العربي في المحافل الإقليمية وعلى هذا الأساس، يظهر لإيران موقع بارز في مستقبل سوريا في كل الاحتمالات، سواء برحيل بشار الأسد، أو بقائه، لأنه من خلال الحفاظ على منطقة سوريا المفيدة، تتمكن إيران من التفاوض بارتياح حول وضعها في سوريا، ومن ثم في الملفات العربية السائلة باليمن، ولبنان، والعراق لذلك، ليس غريباً أن تشكل سوريا لإيران أهمية استراتيجية تفوق أهمية أراضي الأحواز.

<u>العلاقات الايرانية السورية.. أي مستقبل!</u>

إن اللجوء إلى فرض مزيد من الضغوط الدولية ضد دمشق، دفع طهران إلى توجيه رسالة امنية تحذيرية عبر تسيير قطعها البحرية في البحر الأحمر في تكرار للرسالة التي حملتها هذه القطع بعد سقوط النظام المصري، ومرورها في قناة السويس، وصولاً الى مياه البحر الابيض المتوسط وقد ساهم سقوط القذافي في إتاحة الفرصة للدول التي تتصدر العملية العسكرية للناتو في ليبيا للتفرغ من جديد، وان تركز جهودها على الوضع السوري اما بفرض سلسلة من التنازلات والاصلاحات على

النظام ورئيسه، واما للتفكير بممارسة ضغوط عسكرية والتلويح بتدخل مباشر لقوات الناتو عبر حليفها التركي الذي يبدو في الآونة الأخيرة، كثير التردد في مسألة التدخل العسكري المباشر أو حتى اللجوء إلى فرض منطقة أمنية عازلة على الحدود المشتركة، خوفاً من خسارة الشعبية التي حققها بين شعوب العالم الاسلامي، اضافة إلى تعقيدات أخرى فالتطورات التي شهدتها المناطق الكردية في تركيا مؤخراً، والعمليات العسكرية التي قام بها الجيش التركي ضد تجمعات لعناصر من حزب العمال الكردستاني، والتحركات السياسية والاجتماعات الشعبية والبرلمانية التي قام بها نواب أكراد في البرلمان التركي في مناطقهم الكردية، أخرجت رئيس الوزراء التركي عن رباطة جأشه، ودفعته لتهديد هؤلاء النواب بإجراء عقابي مستخدماً سيف الجيش الذي بالكاد استطاع تقليص هيمنته على الحياة السياسية التركية، وأخرجه من دائرة التأثير المباشر، مشدداً على أن الجيش سيتصدى لأي تحرك انفصالي سياسي تقوم به الأطراف السياسية الكردية، أو تحرك تخريبي تقوم به جماعات حزب العمال الكردستاني.

أهم المصادر والمراجع

1- مارين خليفة، حلف إيراني - روسي بمباركة أمريكية لتجاوز المأزق السوري، صحيفة السفير اللبنانية، 30 سبتمبر 20150

2- مارينا أوتاوي،العراق: حكم مشترك (أمريكي - إيراني) مضطرب.

3- مدافع آيات الله، محمد حسنين هيكل.

4- العرب السنة في العراق- مؤلفون.

5- عدد من الصحف منها (الجارديان - الشرق الأوسط - واشنطن بوست - الجزيرة الإنجليزية - بي بي سي- رويترز- آفاق برلمانية - جريدة المستقبل- بيروت)

6- متطلبات الإصلاح في العالم العربي-أحمد يوسف أحمد وآخرون0

7- في الثورة - أرندت حنة -ترجمةعطا عبد الوهاب.

8- نحو قراءة عربية للتاريخ- فؤاد إفرام البستاني ،منجد الطلاب.

9- في الثورة والقابلية للثورة - بشارة عزمي .

10- إستراتيجية سلطة الإستبداد في مواجهة الثورة السورية - برقاوي أحمد وآخرون.

11-علم الاجتماع السياسي -برو فيليب ،ترجمة:محمد عرب صاصيلا.

12-مسارات السلطة والمعارضة في سوريا- نهار حازم .

13-الثورات العربية الجديدة- ولد أباه السيد.

14-حركات الاحتجاج العربية الجديدة- السقا أباهر .

15-دور إيران في المنطقة العربية- ناجي محمد عباس.

obeikandl.com